اثر المتغير الأمريكي
في العلاقات العراقية الإيرانية ٢٠٠٣-٢٠١١(*)

هناء حسن عبيد
الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياسية

مع نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي حدث تغيير جوهري في العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، فمع سقوط الاتحاد السوفيتي انهارت بنية (القطبية الثنائية) التي ظلت تحكم مسار العلاقات الدولية قرابة نصف قرن، وقد ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى رئيسة تقود النظام الدولي الجديد،إذ سعت الولايات المتحدة الأمريكية على الحرص على توازن القوى الإقليمي، وان لا يتهدد التوازن من دولة قومية أو ثورية أو إيديولوجية وتجنيب هيمنة مثل هذه الدول على النظام الإقليمي والاستمرار في تبني سياسة الردع للمحافظة على الوضع الراهن، ومنع إجراء تعديلات عليه .

هذا ما يطبق على حالة العراق في واقع غزوه للكويت عام ١٩٩١،عندما أعدت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب على العراق وأرادت إن يكون بصفة شرعية بإسنادها إلى الأمم المتحدة.وبذلك أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة المهيمنة بعد الحرب الباردة وقد تجلت الأحادية القطبية من خلال قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على فرض إرادتها على الدول والمؤسسات الاقتصادية والسياسية.

وبعد الهجوم على مبنى التجارة العالمي والبنتاغون في ١١/ايلول/٢٠٠١، انتقلت الولايات المتحدة الأمريكية ومن دور الدولة العظمى الوحيدة إلى دور الدولة الإمبراطورية الكونية، وقد استغلت الولايات المتحدة الأمريكية أحداث أيلول/٢٠٠١ لفرض وتوسيع سيطرتها على العالم وان تصبح أقوى دولة على الساحة الدولية. فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها على (الإرهاب)، إذ أصبح الحرب على (الإرهاب) في أجندة السياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، وقد حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على تصوير الحرب ضد (الإرهاب (باعتبارها معركة الحضارة، وهو ما يشير إلى إصباغ الطابع الحضاري على الصراع الذي تخوضه الولايات المتحدة الأمريكية ضد الإرهابيين الذين يهددون الحضارة الغربية عامة، كما حرصت على تأكيد انقسام العالم في هذه المرحلة الجديدة: إما مع الولايات المتحدة الأمريكية أو ضدها، من مع الولايات المتحدة هو العالم المتحضر أما من هو ضدها فهو العالم غير المتحضر أو الهمجي، إنه صراع قوى الخير ضد قوى الشر، إلى جانب ذلك فإن الولايات المتحدة الامريكية اتجهت نحو تأكيد عالمية هذه الحرب فهي حرب حضارية عالمية تشارك فيها دول العالم المختلفة إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأن ما هو معرض للتهديد ليس فقط المصالح الأمريكية، بل هي الحضارة بمعناها الواسع وقيم الحرية والتسامح التي ينشدها، إذ سارعت معظم الدول في العالم إلى الإعلان عن إدانتها (للإرهاب) وتحديد موقفها الذي تراوح بين تأييد الحرب المعلنة من طرف (واشنطن) بشرط التأييد المطلق للسياسة الأمريكية، وفي خطاب للرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) إمام الكونغرس الأمريكي في

٢٠/أيلول/٢٠٠١ وضع دول العالم جميعا إمام خيار واحد عندما قال (من لم يكن معي فهو ضدي) فأصبح إلزاماً على الدول إن تحسم موقفها جيدا، وبهذا أيدت الدول العربية التحالف ضد (الإرهاب)، وقد أصبحت دول العالم في حالة اتهام دائم حتى تثبت براءتها.

إن تفرد الولايات المتحدة الأمريكية في القرار السياسي الدولي وتحديداً بعد إحداث أيلول /٢٠٠١ دفعها إلى تبني ستراتيجية استباقية، التي كانت من نتائجها احتلال أفغانستان ومن ثم العراق، وقد كانت النتائج سلبية على قوة وهيبة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم.

ويبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية أرادت استغلال احداث أيلول/٢٠٠١من اجل تحجيم التحديات التي تواجهها من دول محور الشر منها العراق وايران وكوريا الشمالية فأعلنت حربها على (الإرهاب) وبدأت تستهدف دولاً، على الرغم من إن أفغانستان أو العراق، لم تهدد امن الولايات المتحدة الأمريكية حتى تلجأ إلى الدفاع المشترك الذي أباحها لها الميثاق بموجب المادة (٥٠) من الميثاق.

وقد تم احتلال أفغانستان تحت مظلة الأمم المتحدة، وعندما أرادت شرعنه احتلال العراق وقفت بوجهها الدول الأخرى دائمة العضوية (روسيا الاتحادية وفرنسا والصين) تحث المجتمع الدولي. وذهبت لاحتلال العراق بقرارات دولية سابقة خاصة القرار (٦٧٨) والقرار (١٤٤١). إن احتلال العراق جاء لأسباب معروفة تتعلق بالموقع والمركز النفطي للعراق. إما جمهورية إيران الإسلامية فأن العلاقات الإيرانية الأمريكية في اسوء حالاتها بعد الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩وأزمة الرهائن في٤/تشرين الثاني/١٩٧٩ ، وأضافت له البرنامج النووي الإيراني السلمي وفرض العقوبات والتهديد المستمر بضربة عسكرية إلى جمهورية إيران الإسلامية من قبل الكيان الصهيوني أو بغطاء أمريكي.

لقد عانت منطقة (الشرق الأوسط) بخلاف مناطق العالم من تأثيرات الرئيس الأمريكي الاسبق (جورج دبليو بوش) وفريقه (المحافظون الجدد) الذي جعل دول العالم ميداناً للحرب على (الإرهاب).

وفي الحملة الانتخابية الرئاسية عام ٢٠٠٨ وعد المرشح الديمقراطي (باراك اوباما) خلال حملته الانتخابية بأبعاد الولايات المتحدة الأمريكية عن اثأر السياسات التي انتهجها الرئيس(جورج دبليو بوش) ايذاناً ببدء مرحلة جديدة في السياسة الأمريكية الجديدة للسياسة الأمريكية في التعامل مع القضايا الدولية، وكانت من ضمن اهتمامات الرئيس الأمريكي(باراك اوباما) الذي جرى تنصيبه رسمياً في٢٠/كانون ثاني/٢٠٠٩ الانسحاب الأمريكي من العراق وفتح الحوار مع جمهورية إيران الإسلامية والحصار على كوبا وأزاله التوتر في العلاقات مع حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية.

سنحاول في هذه الدراسة البحث في متغيرات السياسة الأمريكية بعد وصول الرئيس الأمريكي (باراك اوباما) إلى البيت الأبيض.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية اتجاه كل من العراق وجمهورية إيران الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول بعد إن وصفتهما (بالدول المارقة) او محور الشر، وقد أخذت هذه الدراسة حقبة محددة وهي ولاية الرئيس (جورج دبليو بوش) ونصف من ادارة الرئيس (باراك اوباما) عام (٢٠٠٣-٢٠١١) وما مدى المتغير خلال هذه المدة في كلا السياستين اتجاه كل من العراق وجمهورية

إيران الإسلامية، ونظراً لأهمية هذه الدراسة تناولت اكبر عدد من المتغيرات على الصعيدين السياسي والاقتصادي لكلا البلدين خلال مدة الرئيس (جورج دبليو بوش) والرئيس الأمريكي (باراك اوباما) وما مدى التغيير في كلا السياستين اتجاه كلا البلدين على الصعيدين السياسي والاقتصادي، وعلى هذا الأساس جاء اختيارنا لهذا الموضوع لما يحمله من كثير من المتغيرات لكلا البلدين في سياستين أمريكيتين متعاقبتين في الحقبة المحددة.

إن ما توصلت له الدراسة هو إن سياسة الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) مختلفة عن سياسة الرئيس الأمريكي (باراك اوباما) اتجاه كل من العراق وجمهورية إيران الإسلامية.

في ما يخص العراق فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ ومحاولة إبقاء القوات الأمريكية أطول مدة ممكنة وبناء قواعد عسكرية في حقبة حكم الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش)، إلا إن هذه السياسة تغيرت بعد وصول الرئيس الأمريكي (باراك اوباما إلى سدة الحكم فقد أكد سحب القوات الأمريكية من العراق على وفق جدول زمني محدد وعد بناء قواعد عسكرية فيه.

.إما جمهورية إيران الإسلامية فبعدما فرض عليها عقوبات اقتصادية من قبل إدارة الرئيس (جورج دبليو بوش) والتلميح تكرارا بتوجيه ضربة عسكرية لها من اجل إنهاء برنامجها النووي، لكن بعد مجيء الرئيس الأمريكي (باراك اوباما) إلى الرئاسة الأمريكية، طرح العديد من السيناريوهات البديلة للتعامل مع أزمة الملف النووي الإيراني وحل هذا الملف الشائك وتحسين العلاقات الأمريكية الإيرانية. إذ انه خلافاً لإدارة الرئيس الأمريكي (جورج دبليو بوش) التي كانت ترفض الحوار مع إيران وتستعمل سياسة العنف في التعامل معها، سواء في تهديداتها المستمرة أم تشديد العقوبات الاقتصادية أم التهديدات باستعمال القوة العسكرية، فأن الرئيس الأمريكي (باراك اوباما) اتجه إلى تبني سياسة جديدة ومغايرة تقوم على الحوار، وبدا واضحاً في حملته الانتخابية للرئاسة الأمريكية، وفي خطاب تنصيبه في ٢٠/كانون ثاني/٢٠٠٩ قال "انه سينهج نهجاً جديداً في التعامل مع إيران وملفها النووي، كما انه سيعتمد على الاسلوب المباشر مع إيران بدلاً من أسلوب المواجهة والاحتواء الذي كانت تتبعه الإدارة الأمريكية السابقة خلال السنوات الماضية. وهنا يمكن القول إن سياسة الرئيس(باراك اوباما) تتميز بالمرونة اتجاه اغلب القضايا، إذ أنها مختلفة عن سياسة(جورج دبليو بوش) في تعامله مع القضايا الراهنة.

(*) رسالة ماجستير، إشراف أ.د. سعيد مجيد دحدوح